

لُغَةُ الْعَرَبِ

مَجْلَدٌ شَهِيرٌ إِذْ بَتَّ عِلْمِيَّتُهُ تَارِيخِيَّةٌ

من السنة ٥

الجزء ٣

الحركات العربية المجهولة

Les voyelles brèves dans la langue arabe.

تمهيد

كل من درس اللغة العربية في كتب أصولها ، (اي في مؤلفات الصرفيين والتمناة) يظن ان ليس في لساننا من الحركات سوى ثلاث : الضمة والفتحة والكسرة ، كما هو شائع في المدارس ، ولم يكن ابدا لساننا حركات اخرى . ويظن بعضهم ان الحركات المتوسطة بين هذه الثلاث نشأت بعد الاسلام من مخالطة اجدادنا للاجانب ، بعد ان طل الاحتكاك بهم فكانت النتيجة ان اتخذوا حركاتهم على اختلاف انواعها .

قلنا : وليس الامر كما توهموا ، فان الحركات المتوسطة التي نسميها «الضعيفة او الضئيلة» هي في لساننا قبل الاسلام بكثير بل منذ نشوء اللغة نفسها ودونك ادلتنا :

١ - من محاكاة الطبيعة

واول هذه الادلة ان اللغة هي محاكاة اصوات الطبيعة . والحال ان محاكاة هذه الاصوات متوفرة في بلادنا ، فهو الربيع لا ينقطع ، واصوات المياه جارية وقهيف الريح شديد ، وابتاؤنا بالفون الحيوان والطائر في كل ساعة بل كل

دقيقة ، فلماذا لا يكون عندنا ما يشبه نطقها ، على حد ما يرى في سائر الديار من هسبجة وحضرية . اذن القول بوجود ما يحاكي اصوات الطينينة في لساننا هو امر قريب من العقل ، بل القول بخلافه يكاد يكون محالا .

٢ — من مقابلة اللغات الاخوات

اللغة العربية سامية التجار ، فهي اخت للعبرية والآرامية والهابشية وغيرها ولهذه الالاسنة حركات مختلفة غير الحركات الثلاث فيظهر انه من المعقول ان يكون مثل تلك الحركات في كلام بني يعرب ، قحطانيين كانوا او عدنانيين ، جنوبيين او شماليين ، شرقيين او غربيين ، اقدمين او محدثين .

٣ — من اللغات في الكلمة الواحدة

في لغتنا الضاربة الفاظ تكسب بصورتين او اكثر ، مما يدل على ان هناك الفاظا كان ينطق بها بوجه وسط او بوجهين وسطين او مختلفين ، فيجتمع في الحرف الواحد لغتان او ثلاث ، بل ربما اكثر . وهذا حاول بعضهم تصويرها بهشات مختلفة ، وقد ورد هذا الامر في التكرات كما في الاعلام . فقد قالوا مثلا : قار وقير ، قرائه وقريثاه ، كاه وكهي ، كائنه وكينته . ومثل هذه المفردات كثير في لغتنا .

اما في الاعلام فنكقولهم : همانية وهمينية (وهي من قرئ بفداد في سابق العهد) وفارة (بتشديد الراء المفتوحة) وفيرلا (بتشديد الراء المضدومة) وهم يريشون تصوير الكلمة الاسبانية Ferro اي حديد . وهو اسم رجل جديوسف ابن محمد الانصاري الاندلسي . وقال بعضهم : سلوقية وآخرون سليقية . الى غيرها . وكل ذلك ناشىء من اختلاف التالظ بالحركات . وهو كثير بكثرة الاعلام المبهمة الحركة . تلك الحركة التي هي بين بين . ان كانت قريبة الى الفتح او الى الكسر او الى الضم .

٤ — من تلقي اصول التجويد

تنضح هذه الحركات من تلقي اصول التجويد . عن معلم خير بالقراءة . فان اساتذة هذا الفن يجيدون التلفظ بانواع تلك الحركات ويدققونها . فينبغي لك الامر كل الجلاء والاحمال يذهب عنك الوهم الذي وقع لك اي ان الحركات ثلاث لا غير .

٥ — نصوص بعض الأقدمين من الصرفيين والفتحة

قال في الأشياء والنظائر النحوية للسيوطي نقلا عن شيوخنا وعن مؤلفات السلف . « قال ابن جني في باب كمية الحركات : اما ما في ايدي الناس في ظاهر الامر ، فتلاث . وهي : الضمة والكسرة والفتحة . ومحصولها على الحقيقة تست وذلك ان بين كل حركتين حركة .

« فالتى بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل كذا الممالة (١) نحو فتحة عين «عالم» و «كاتب» ، كما ان الالف التي بعدها بين كذا والياء (٢) قد تسمى اي المقابلة لحرف (٣) الفرنسي .

« والتي بين الفتحة والضمة التي هي قبل الف التفتيح (٤) نحو فتحة لام «الصلاة» والزكاة ، والحياة» وكذلك قام وعاد (اي يقابل الحرف الفرنسي (٥) « والتي بين الكسرة والضمة (٦) فككسرة قاف « قيل » وسين « سير » (هذا يقابلها عند الفرنسيين حرف « ا » فهذه الكسرة المسماة ضمما ومثلها الضمة المسماة كسرة . كنحو قاف « القر » وضمة « مدحور ابن يور » فهذه ضمة اشربت كسرة (قلنا هي المقابلة لحرف الخالي من كل حركة كالذي يتلفظ به في مثل le وperle وaimable الواقع في آخر هذه الكلمات الثلاث او نحوها) كما انها في « قيل وسير » كسرة اشربت ضمما . فهما لذلك كاهوت الواحد . لكن ليس في كلامهم ضمة مشربة فتحة ولا كسرة مشربة فتحة (قلنا : اي ان في لساننا مثل الحرف الفرنسي « محدودا ومصورا » ومثل « الخالي من الحركات » ويكون في لغتنا الاول وفي الوسط وفي الآخر بخلاف الفرنسية فليس فيها مثل هذا الحرف او الحركة إلا في الآخر)

« ويدل على ان هذه الحركات معتدات استنادا لسيبويه . بان الالمالة والالف التفتيح حرفين غير الالف المفتوح ما قبلها .

(١) وذلك في قراءة ورش . وتسمى الطويلة او الممدودة بالالف للمالة . والمقصورة بالفتحة للمالة .

(٢) وتسمى الممدودة والطويلة منها بالالف التفتيح ، والمقصورة منها بالفتحة التفتيح

(٣) وهي حركة الاشياء وقد تسمى روميا . وتسمى الطويلة منها والممدودة : الواو والياء ذات الاشياء ، والمقصورة منها حركة ذات الاشياء .

« وقال صاحب البسيط : « جملة الحركات المتنوعة اربع عشرة حركة : ثلاث للاعراب ، وثلاث لبناء ، وثلاث متوسطة بين حركتين ، احدهما : بين الضمة والفتحة ، وهي الحركة التي قبل اللالف المقصورة في قراءة ورش ، نحو الصلاة والزكاة والحياة . والثانية بين الكسرة والضمة ، وهي حركة الاشمام في نحو قيل وغيض على قراءة الكسائي . والثالثة بين الفتحة والكسرة وهي الحركة التي قبل اللالف المائلة . والعاشر : حركة اعراب تشبه حركة البناء وهي شدة ما لا ينصرف في حال الجر على منذهب من جعلها حركة اعراب .

« والحادية عشرة حركة بناء تشبه حركة الاعراب ، وهي ضمة المبادئ وقعة المني على منذهب من جعلها حركة بناء .
« والثانية عشرة : حركة الاتباع .
« والثالثة عشرة : حركة التقاء الساكنين .

« والرابعة عشرة : حركة ما قبل ياء التكلم على منذهب من جعلها معرباً قائم جني بها لتصح الياء وليست حركة اعراب ، ولا حركة بناء ، قبل : وانما القيت الحركات بهذا اللقب لانها تطلق الحروف بعد سكونها وكل حركة تطلق الحروف نحو اصلها من حروف التي فاشبهت بذلك انطلاق المتحرك بعد سكونه . وقال المهاسي في نظم الفرائد :

عدونا جملة الحركات ستا	وستا بعديها ثم اثنين
فاعراب ثلاث او بناء	ثلاث او ثلاث بين بين
وشبهتان والاتباع حاجب	والخرى لالتقاء الساكنين
وواحدة ملتبسة تردت	لدى اخواتها سبع حيزين

« وقال بعضهم الحركات سبع حركة اعراب وحركة بناء وحركة جكاية وحركة اتباع وحركة نقل وحركة تخلص من سكونين وحركة المضاف الى ياء التكلم » انتهى كلام السيوطي من كتابه الاشياء والنظائر .

٦ — من اقدم الشواهد في اللغة

ومن ادلة الامالة منذ الزمن الواغل في القدم ، اسم الفاعل الذي على وزن فيعل في الاجوف وهو — ولاشك في ذلك — امالة فاعل . فقد قالوا : سبد

(بالتشديد) واصله سيود ، واصل هذا على ما عندي ساود . لكن بمالة الآلف الى الياء اي سايود بمعنى سائد . وكذلك القول في كل فعل بتقديم الياء على الميم والآلفاظ كثيرة من هذا القبيل وكلها مشتقة من افعال يوفاء كذلكس والعين والجيد والقيم والعيل والميت الى غيرها وتعد بالثلاث . وانت تعلم ان وزن فاعل (المكسور العين) لا وجود له في الصحيح من كلامنا . وهذا ما يدل على ان فاعل هو امالة فاعل الأجوف لاغيره والامالة تكثر في كل وزن فاعل كميا لا يخفى عليك وكما تقيته عن اسانذتك .

٧ - شهادة اللغويين الواضحة

يؤخذ من عدة نصوص للصرفيين والنحاة واللغويين ان الامالة على ضربين : امالة محضة وامالة بين بين . وسماوا الامالة المحضة «ثقلية او اضجاعا» والامالة بين بين عرفوها باسم « الامالة الخفيفة » ايضا . قال السيد مرتضى صاحب تاج المروس في مادة اف : « افى بغير امالة (اي بالحرف الانرجي Ufa) وافى بالامالة المحضة (اي Ufa) وغدق . به . وافى بالامالة بين بين (اي Ufa) وقد قرئ به ايضا . والآلف في الثلاثة للتأنيث » الا كلامه .

فهذا نص صريح للفظ قديم يدل احسن دلالة على ما كان عند العرب منذ العهد العهيد على نوعي الامالة وهو كلام نفيس يقدره العلماء حتى قدره على صدق فكرتنا ورأينا .

وفي التاج ايضا : قال ابن الأنبار : قد امالت العرب « لا » امالة خفيفة . والعوام يشمون امالتها فتصير الفهايا . وهو خطأ . وهذه كلمة ترد في المحاورات كثيرا . وقد جاءت في غير موضع من الحديث . ومن ذلك في حديث بيع الثمر : « اما لا فلا تباعوا ، حتى يبدو صلاح الثمر » . وفي حديث جابر : « رأى رجلا نادا فقال : لمن هذا الجمل ؟ وفيه : فقال : اتبعونه ؟ قالوا : لا . بل هو لك فقال : اما لا : فاحسنوا لوليه حتى يأتي ابله ؟ » قال المزهرى : اراد ان لا تباعوا فاحسنوا اليه : و«ا» صلبة . والمعنى : الا : فوكنت بما . و«ان» حرف جزاء هنا . قال ابو حاتم : العامة ربما قالوا في موضع « اقبل ذلك » « اما لا . اقبل ذلك . بلوى » وهو فارسي (اي كلمة باري . وهي تستعمل في عداد العهد) هذا (مردود . والعامة تقول ايضا : « أمالي » فيضمون الآلف وهو خطأ ايضا

قال والصواب «أمالا» غير فعال لأن الأدوات لاتعمل .

« قلت : وتبدل العامة أيضا الهمزة بالهاء مع ضمها . وقال الليث : قواهم :
« أما لا ، فافعل كذا » إنما هي على معنى : « ان لاتفعل ذلك » فافعل ذا »
ولكنهم لما جمعوا هؤلاء الأحرف فصروا في مجرى اللفظ منقلبة فصار «لا» في
آخرها كأنه عجز كلمة فيها ضمير ما ذكرت لك في كلام طلبت فيه شيئا : فرد
عليك امرك : قلت : أما لا فافعل ذا .

« وفي الصباح : الأصل في هذه الكلمة ان الرجل يارحمه اشيء . ويطالب بها
فيستع منها : فقتع منه ببعضها ويقال له « أما لا فافعل هذا » أي ان لاتفعل
الجميع فافعل هذا . ثم حذف الفعل لكثرة الاستعمال . نوزدت «ما» على ان
توكيدا لمعناها . قال بعضهم : ولهذا تعال «لا» هنا لتباينها عن الفعل كما اعلنت
« بل » و « يا » في النداء . ومثله : « من اطاعتك فآكرمه ومن لا فلانمأ به » .
وقيل الصواب عندهم الامالة لان الحروف لا تعال « انتهى الكلام على ما فيه
الاجاز فيعادة ما .

٨ — شهادة علماء البلدان

قل يعقوت في معجم البلدان : حوارين (يضم اوله . ويكسر . وتخفيف
الواو وكسر الراء وياء ساكنة ونون) بلدة بالبحرين افتتحها زياد ... وقال
الحارثي : حوارين بلفظ التنبيه وكسر اوله : والجيار : قريتان بالبحرين ...
واختلفوا في قول الحرث بن حازم :

وهو الرب والشهيد على يو م الحوارين والبلاء بلاد

فروى ابن الاعرابي : الحوارين بلفظ التنبيه وكسر الحاء : وروى غيره
« الحيارين » بالياء يقال : هما بلدان ، وقال آخرون « الحيارين » بكسر الحاء
والراء وهو يوم من ايام العرب مشهور .

وقال في خوارزم : اوله بين الضمة والفتحة والالف مستترقة مختلطة ليست
بالف صحيحة . فكذا يتلفظون به . هكذا ينشد قول اللحام فيد :

ما اهل خوارزم سلالة آدم ماله من وحق الله غير بهائم . انتهى

وقال السيد مرتضى في تفتيس : تفتيس بالفتح وقد تكسر فيكون على وزن
فعليل : وتجعل التاء اصلية لان الكلمة جرجية وان وافقت اوزان العربية ومن

فتح التاء جعل الكلمة عربية ؛ ويكون عندئذ على وزن تفعيل . نقله الصاغاني وقد ذكره المصنف (اي الفيروزآبادي) رحمه الله أولا ونسب الكسر الى العامة ١٠

٩ — شهادة للمجودين

من اجل الأدلة على ان للعرب حركات كحركات لغتة العبريين والفريسيين من الأفرنج نصوص المجودين الصريحة . فقد عرفوا كلاً منها تعريفاً لا يبقى للربيب في صدر احد . من ذلك :

١ — «الاشعاع» قالوا هو الاشارة الى الحركة من غير تصويت . وذلك بان تضم الشفتان بعد الاسكان في الرفع والمضوم للاشارة الى الحركة من غير صوت . والفرق بينه وبين الرفع ان هذا يختص بالضم وذلك لا يختص بحركة . وذلك يدركه الاعمى والبصير لان فيه حظاً للسمع وهذا لا يدركه إلا البصير اذ لاحظ للسمع فيه وانما يتبين بحركة الشفة وهي لا تبعد حركة لضعفها والحرف الذي يقع فيه الاشعاع ساكن او كالساكن . والاشعاع مشتق من اشم الحرف اذا اذقه الضمة او الكسرة بحيث لا يسمع .

٢ — «الروم» هو النطق ببعض الحركات في الوقف او عن حركة مختلصة مخفاة وهو اكثر من الاشعاع لانه يدرك بالسمع ويختص بغير المفتوح لان الفتحة لا تقبل التبعيض في جميع الحركات .

٣ — «الاختلاس» مصدر اختلس القارىء الحركة ليربلفها ويقاطعه الاشباع .
٤ — «الاشباع» مصدر اشبع الحركة اذا ربلفها حتى يصير بانطق حرف المد .
٥ — «الامالة او البطع» هي ان تنحو بالالف نحو الياء وبالفتح نحو الكسرة ؛ ولها اسباب ذكرها الصرفيون والنحاة (راجع باب الامالة في الكتاب وفي مؤلفات اهل المريئة)

٦ — «الاضجاع» الاضجاع في باب الحركات كالامالة والحذف والتسمية من باب المجاز . يقال اضجع الحرف اي اماله الى الكسر .

٧ — «التسهيل» هو ان تقرأ الهززة بين نفسها وبين حركتها اي بين الهززة والواو ان كانت مضمومة وبين الالف ان كانت مفتوحة وبينها وبين الياء ان كانت مكسورة ويقال لها ايضا «بين بين»

٨ — «التفخيم او التفشي» هو : على رأي الحكماء . ان تقرأ القرآن

قراءة الرجال ؛ ولا يخضع الصوت فيما ككلام النساء ؛ قال ولا يدخل في هذا كراهة الأمانة التي هي اختيار بعض القراء .

٩ — «الترقيق» هو خلاف التثخيم .

١٠ — «الشوب» استعمال بعض النحويين الشوب في الحركات . فقال أبا الفتح المشوية بالكسرة فالفتحة التي قبل الأمانة ؛ نحو فتحة عين عبدوعارف قال ؛ وذلك ان الأمانة انما هي ان تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتعمل الألف نحو الباء لضرب من تجانس الصوت . فكما ان الحركة ليست بفتحة بحضة كذلك الألف التي بعدها ليست الفاء بحضة وهذا هو القياس لان الألف تابعة للفتحة فكما ان الفتحة مشوبة فكذلك الألف اللاحقة لها .

١٠ — شهادة الشعراء .

قال الفرزدق :

فما حل من جهل حيا حلماثنا ولا فائل المعروف فينا يعنف
اراد «حل» على ما لم يسم فاعله ؛ فطرح كسرة اللام على الهاء — قال الأخفش
سمعنا من ينشد كذا . قال وبعضهم لا يكسر الهاء ولكن يشعها الكسر كما يروم
في «قيل» (وتلفظ qula على الوجه الفرنسي) الضم وكذلك لغتهم في المضعف مثل
ود وشد (هذا الكلام من اول حرفه الى آخره عن لسان العرب لابن مكرم)

وقال الرازي :

ليت ! وهل تنفع شيئا ليت ؟ ليت شبابا «بوء» فاشتريت !
(راجع الأشموني على حاشية الصبان ٤٣:٢) قال وتمزى هذه اللغة لبني قيس
وبني دبر « ا » وفي ابن عقيل (ص ١١٥ من طبعة بيروت) وهما من فصحاء
بني اسد . والاشهام هو الاثنيان بحركة بين الضم والكسر ولا يظهر ذلك إلا في
اللفظ ولا يظهر في الخط « ا »

قلنا ؛ ولا يظهر في الخط لان العرب اجدادنا لم يضعوا له علامة ؛ وإلا
قالعربيون والفرزيون قد اصطالحوا على وضع علامة تدل عليه .

وعندنا غير هذه الشواهد وهي كثيرة تكاد تقع في عشر صفحات من هذه
المجلة فاكثفينا بما ذكرنا لكي لا يمتدج الصدور على ما لازيادة فائدة فيه .